تفرّدات لغة القرآن عن اللغة العربية

إعداد

رمال نعيمة

طالبة بالسنة رابعة دكتوراه- تخصص التفسير وعلوم القرآن

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية-قسنطينة-دولة الجزائر

ملخص

لما اصطفى الله محمدًا -صلى الله عليه وسلم- لحمل رسالة الإسلام العظمى اختار لها اللغة العربية الفصحى، فأصبحت اللسان الذي يتكلم به القرآن مبينًا مراد العزيز الرحمن. وما كان لهذه اللغة أن ترقى لهذا الاختيار إلا لحيزتها على مميزات جمة، ذكرها العلماء بتفصيل جميل، غير أن أغلبهم أغفل الحديث عن اللغة العربية بعدما أصبحت لغة القرآن الكريم، فلم تبق بالخصائص نفسها، بل زادها القرآن تميزًا، حتى صار للغة القرآن ما يخالف عادة العرب في كلامهم، ويكفي الإعجاز البياني، والنظم القرآني دليلًا على ذلك. والتركيز على إظهار تفردات اللغة القرآنية عن اللغة العربية يعد ردًّا قويًّا للشبهة الخطيرة القائلة: "بأن القرآن كان من إنشاء محمد -صلى الله عليه وسلم- وليس كلام الله، وأنه نتاج لثقافة شبه الجزيرة العربية".

الكلمات الدلالية والمفتاحية للبحث: القرآن الكريم، اللغة العربية، التفردات.

Abstract

When Allah chose Muhammad (Peace be upon him) to bear the great message of Islam, he opted for the Arabic language. The latter became the tongue of the Holy Quran that explains the aim of Allah Almighty.

This language was selected because of its considerable characteristics indicated in details by the scholars. Nevertheless, most of these scholars ignored speaking about the Arabic language after becoming the language of the Holy Quran that gave it more distinction and difference. Its miraculous rhetoric and composition is the most evident proof.

Focusing on demonstrating the uniqueness of Quran's Arabic language compared to the usual Arabic language is an answer to the dangerous charge saying that: "the Holy Quran was the creation of the prophet Muhammad (peace be upon him) and the result of Arabic peninsula's culture and not the God's word".

تقدمة البحث:

إن الحمد لله، نحمده، ونستعينه، ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله، وبعد:

فهذا عرض يتناول موضوعًا شيقًا عن مصدرين من مصادر العزة للأمة الإسلامية، وهما: اللغة العربية والقرآن الكريم، ويزداد هذا العرض تشويقًا حينما يتطرق إلى العلاقة بينهما، والتي كونت للمقومات الإسلامية أجمل صورة على الإطلاق، وأفضل لغة تحدَّث ويتحدث بها الإنسان.

فلا يخفى على الجميع ما تملكه اللغة العربية من جماليات في التعبير، وأساسيات في التفكير، وصور من البديع والبيان، وكمال في اللفظ والمعنى والتبيان، كما لا يخفى علينا ما أضفاه القرآن الكريم عليها حتى ازداد تميزها تميزًا، بل حتى درج أصحاب البحوث العلمية على تمييز اللغة العربية بكونها لغة القرآن الكريم، وقل من يتعرض إلى خصائص لغة القرآن عن اللغة العربية، ومن هنا جاءت رغبتي في البحث في هذا المجال، فكان نتاج هذا العمل معنون بـــ: **"تفردات لغة القرآن عن اللغة العربية"**.

والحقيقة أني أخذت مصطلح "التفرد" من الصناعة الحديثية، والذي أقصد به ما تفردت به اللغة القرآنية عن اللغة العربية، أو ما أتت به اللغة العربية كجديد وزيادة حينما أصبحت لغة القرآن الكريم، أو بمعنى وجه الاختلاف بين اللغتين.

ولاشك أن مثل هذه الدراسة تحتاج إلى كثير من التأمل في قواعد خصائص وأساليب اللغة العربية خارج القرآن الكريم وداخله، ومن النظر في خصائص القرآن الكريم نفسه، وهذا له من الصعوبة بمكان، فنرجو أن يعذر تقصيرنا فيه، ويجبر بزيادة البحث فيه مستقبلًا.

• **أهمية البحث:**

لا تزال البحوث العلمية قائمة حول القرآن الكريم، وما زالت هذه المعجزة الخالدة تدلي من عجائبها ما يحفّز كل راغب في العلم أن يبحث في بعض أسرارها، وأن يرد كل شبهة تدور في جانب من جوانبها، ولا شك أن أول ما تعرض له القرآن الكريم من شبهات أن يقال عنه: سحر، أو إفك، أو من صنع محمدٍ صلى الله عليه وسلم، وقد أبطل القرآن نفسه هذه الشبهة، ولكن أصحاب العقول المتنطعة لا تزال تخفي الشمس بالغربال، وتبحث عن دليل أن القرآن الكريم كلام الله -عز وجل، ولعل إبراز بعض الخصائص اللغوية للقرآن الكريم عن اللغة العربية يبين حتمًا أن القرآن لا يمكن أن يكون من ثقافة محمد صلى الله عليه وسلم، وأنه إلهي المصدر، ومن هنا جاءت أهمية البحث لتظهر في بيان أن اللغة القرآنية سامية عن أية لغة إنسانية، وأن معانيها وألفاظها من عند الله تعالى.

• **إشكالية البحث:**

تتشكل في الأذهان -مما سبق- بعض الإشكالات التي يسعى المقال للإجابة عنها، وأهمها:

– إذا كان القرآن الكريم نزل بلغة العرب، -لسانًا عربيًّا مبينًّا- فلمَّا وجد الإعجاز البياني في القرآن الكريم ولم يوجد هذا الإعجاز في لغة العرب، ولِمَ لم يستطع العرب الإتيان بمثله؟.

– إذا كان القرآن الكريم من إنشاء محمد صلى الله عليه وسلم؛ فكيف نجد لغة قرآنية مخالفة للغة محمد صلى الله عليه وسلم في الأسلوب والقواعد والرسم والنظم؟.

• **أهداف البحث:**

أسعى -بإذن الله تعالى- من خلال هذا البحث الوصول إلى نوعين من الأهداف:

- **الأول منهما بعيد:** وهو خدمة القرآن الكريم خدمة تنفعني في الدنيا والآخرة.

- **والثاني مرحلي:** وهو بيان أن القرآن الكريم متفرد بأسلوبه وصياغته، حتى عن اللغة العربية التي أنزل بلسانها، وأنه كلام من عند الله أنزله على نبيه المصطفى صلى الله عليه وسلم من بين أخيار العرب، وأن العرب وغير العرب لا يمكنهم الإتيان بمثله لأنه معجز في اللفظ والمعنى.

• **الدراسات السابقة:**

ما كتب في الموضوع خصيصًا قليل مقارنة بما كتب فيه إجمالًا؛ لأن أغلب كتب علوم القرآن الكريم قد تناولت جانبًا من جوانبه، وهو الإعجاز البياني، وأكثر دراسة تناولت الموضوع على وجه التفصيل هي لصاحبها عبد الجليل عبد الرحيم في كتابه المعنون بـــ: "لغة القرآن الكريم"، طبعته مكتبة الرسالة الحديثة، ط١، ١٤٠١هـــ، ١٩٨١م، وقد تعرض بشيء من التفصيل للجديد الذي أضافه القرآن الكريم للغة العربية في الألفاظ والأسلوب.

وكذلك دراسة أحمد مختار عمر في كتابه "لغة القرآن؛ دراسة توثيقية وفنية"، طبعته مؤسسة الكويت للتقدم العلمي، ط٢، ١٤١٨هـــ ١٩٩٧م، وقد ركز على الإعجاز البلاغي في القرآن الكريم.

ولعل بحثي هذا لا يضيف جديدًا عليهما بقدر ما يعرض المادة العلمية وفق ما يجيب على الإشكالات المعروضة سابقًا بالتركيز على الجوانب التي خالف فيها القرآن الكريم لغة العرب التي أنزل بها إثباتًا أن اللغة القرآنية لغة سامية عن أي لغة إنسانية حتى اللغة العربية، ولا يمكن لمحمد صلى الله عليه وسلم أن يأتي بها دون وحي إلهي أو اعتماد على مجرد اللسان العربي.

- **حدود البحث:**

يتحدد البحث بمجال يتناسب مع الإشكالات المعروضة، ويتمحور حول موضوع غير متشعب وهو دراسة تفردات اللغة القرآنية عن اللغة العربية مع ذكر بعض الشواهد والأمثلة التي تؤكد تفرد القرآن الكريم في أسلوبه ولغته عن لغة العرب، وتأثيره وإتيانه بالجديد عليها.

- **منهج البحث:**

اعتمدت في هذا العرض منهج الاستقراء ثم التحليل، مع شيء من المقارنة تظهر في بيان مميزات اللغة القرآنية عن اللغة العربية، كما استعنت بمنهج النظر والاستدلال تماشيًا مع ما تقتضيه طبيعة البحث.

• **هيكل البحث:**

جاء البحث إجمالًا في مقدمة ومبحثين، وتحت كل مبحث ثلاثة مطالب، ثم خاتمة كما يلي:

• **مقدمة:** وتحتوي على أهمية البحث وإشكالاته، مع ذكر بعض أهداف البحث، والدراسات التي تناولت البحث إجمالًا أو تفصيلًا، وحدود البحث، وختمتها ببيان منهج البحث وهيكله.

أما المباحث فجاءت كما يلي:

• **المبحث الأول: تعريف القرآن الكريم واللغة العربية:**

المطلب الأول: تعريف القرآن الكريم لغة واصطلاحًا.

المطلب الثاني: تعريف اللغة العربية لغة واصطلاحًا.

المطلب الثالث: العلاقة بين القرآن الكريم واللغة العربية.

• **المبحث الثاني: تفردات لغة القرآن عن اللغة العربية:**

المطلب الأول: من جهة قواعد الإعراب والنحو.

المطلب الثاني: من جهة الأسلوب والاستعمال للألفاظ والمعاني.

المطلب الثالث: من جهة المقامات الصوتية لفواصل الآيات القرآنية.

• **الخاتمة:**

ذكرت فيها أهم النتائج والتوصيات التي توصلت إليها.

المبحث الأول: تعريف القرآن الكريم واللغة العربية

المطلب الأول: تعريف القرآن الكريم لغة واصطلاحًا:

❖ **أولًا: لغة:**

قال أَبو إِسحاق النحوي: يُسمى كلام اللّه تعالى الذي أَنزله على نبيه صلى الله عليه وسلم كتابًا وقُرْآنًا وفُرْقانًا، ومعنى القُرآن معنى الجمع، وسمي قُرْآنًا لأَنه يجمع السُّوَر، فيَضُمُّها، وقوله تعالى: ﴿إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُۥ وَقُرْءَانَهُۥ ﴿١٧﴾﴾ [القيامة:١٧]، أَي: جَمْعَه وقِراءَته، ﴿فَإِذَا قَرَأْنَٰهُ فَٱتَّبِعْ قُرْءَانَهُۥ ﴿١٨﴾﴾ [القيامة:١٨]، أَي: قِراءَتَهُ. قال ابن عباس رضي اللّه عنهما: فإِذا بيَّنَّاه لك بالقراءَة؛ فاعْمَلْ بما بَيَّنَّاه لك"[(١)].

❖ **ثانيا: اصطلاحًا:**

القرآن في عرف الشرع: " **كلام منزل، معجز بنفسه، متعبد بتلاوته**"[(٢)].

• **شرح حدود التعريف**[(٣)]:

-"**كلام منزل**": أي نزله السيد جبريل -صلوات الله وسلامه عليه- "على" قلب سيدنا "محمدٍ" رسول الله صلى الله عليه وسلم كما قال سبحانه وتعالى: ﴿قُلْ مَن كَانَ عَدُوًّا لِّجِبْرِيلَ فَإِنَّهُۥ نَزَّلَهُۥ عَلَىٰ قَلْبِكَ بِإِذْنِ ٱللَّهِ﴾ [سورة البقرة: ٩٧].

(١) ابن منظور، محمد بن مكرم، لسان العرب، تحقيق: عبد الله علي الكبير، محمد أحمد حسب الله، هاشم محمد الشاذلي، (القاهرة، دار المعارف، د.ط، د.ت) باب القاف، مادة قرأ، ج٥ ص٣٥٦٣ .

(٢) ابن النجار الحنبلي، تقي الدين أبو البقاء محمد بن أحمد بن عبد العزيز بن علي الفتوحي، شرح الكوكب المنير، تحقيق: محمد الزحيلي، نزيه حماد، (مكتبة العبيكان، ط٢، ١٤١٨هـ، ١٩٩٧م)، ج١ص٧، ٨.

(٣) المصدر نفسه، ج١ص٧، ٨ .

– **"معجز بنفسه"**: أي مقصود به الإعجاز، كما أنه مقصود به بيان الأحكام والمواعظ، وقص أخبار من قص في القرآن من الأمم دليل التحدي به، لقوله سبحانه وتعالى: ﴿ قُل لَّئِنِ ٱجْتَمَعَتِ ٱلْإِنسُ وَٱلْجِنُّ عَلَىٰٓ أَن يَأْتُوا۟ بِمِثْلِ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِۦ ﴾ [الإسراء:٨٨]، أي: فأتوا بمثله، إن ادعيتم القدرة فلما عجزوا تحداهم بعشر سور لقوله تعالى: ﴿ قُلْ فَأْتُوا۟ بِعَشْرِ سُوَرٍ مِّثْلِهِۦ مُفْتَرَيَٰتٍ ﴾ [سورة هود: ١٣]، فلما عجزوا تحداهم بقوله تعالى: ﴿ فَأْتُوا۟ بِسُورَةٍ مِّن مِّثْلِهِۦ ﴾ [سورة يونس: ٣٨]، أي: من مثل القرآن، أو من مثل النبي صلى الله عليه وسلم، فلما عجزوا تحداهم بدون ذلك لقوله تعالى: ﴿ أَمْ يَقُولُونَ ٱفْتَرَىٰهُ ۖ بَل لَّا يُؤْمِنُونَ ﴿٣٣﴾ فَلْيَأْتُوا۟ بِحَدِيثٍ مِّثْلِهِۦٓ إِن كَانُوا۟ صَٰدِقِينَ ﴾ [سورة الطور: ٣٣، ٣٤]، أي: فليأتوا بمثله.

– **"متعبد بتلاوته"**: لتخرج الآيات المنسوخة اللفظ، سواء بقي حكمها أم لا؛ لأنها صارت بعد النسخ غير قرآن لسقوط التعبد بتلاوتها، ولذلك لا تعطى حكم القرآن.

المطلب الثاني: تعريف اللغة العربية لغة واصطلاحًا:

❖ أولًا: لغة:

اللغة: مشتقة من الفعل (لغا) واللَّغْو واللَّغا السَّقَط، وما لا يُعتدّ به من كلام وغيره، ولا يُحصَل منه على فائدة ولا على نفع، وقال الأَزهري: واللُّغة من الأَسماء الناقصة، وأَصلها لُغْوة من لَغا إِذا تكلم ... لَغا فلان عن الصواب وعن الطريق إِذا مالَ عنه، قاله ابن الأَعرابي، قال: واللُّغَةُ أُخِذَت من هذا لأَن هؤلاء تكلموا بكلام مالُوا فيه عن لُغةِ هؤلاء الآخرين، واللَّغْو النُّطق، يقال: هذه لُغَتهم التي يَلْغُون بها أَي يَنْطِقُون، ولَغْوى الطيرِ أَصواتُها، والطيرُ تَلْغَى بأَصْواتِها أَي: تَنْغَم"(١).

واللغة العربية تختص بقوم هم العرب، وهم: "جِيْلٌ من الناس"(٢).

❖ ثانيًا: اصطلاحًا:

لقد اختلف العلماء في تحديد ماهية اللغة، ومفهومها، وليس هناك اتفاق على مفهوم محدد للغة ويرجع سبب الاختلاف وكثرة التعريفات وتعددها إلى ارتباط اللغة بكثير من العلوم، فانتقاء تعريف لها ليس بالعملية اليسيرة، فمن هذه التعريفات على سبيل المثال لا الحصر:

- **قال أبو الفتح ابن جني:** "حد اللغة أصوات يعبر بها كل قوم عن أغراضهم"(٣).
- **وفي معنى هذا التعريف يقول عبد الرحمن بن خلدون:** "اللغة في المتعارف هي عبارة المتكلم عن مقصوده، وتلك العبارة فعل لساني، فلا بد أن تصير ملكه متقررة في العضو الفاعل لها وهو اللسان، وهو في كل أمة بحسب اصطلاحاتهم، وكانت الملكة

(١) ابن منظور، محمد بن مكرم، لسان العرب، باب اللام، مادة لغا، ج٥، ص٤٠٤٩-٤٠٥١.

(٢) المصدر نفسه، باب العين، مادة عرب، ج٤ ص٢٨٦٣.

(٣) الخصائص، تحقيق: محمد علي النجار، (لبنان، عالم الكتب، د.ط، د.ت)، ج١ص٣٣.

الحاصلة للعرب من ذلك أحسن المملكات، وأوضحها إبانة عن المقاصد لدلالة غير الكلمات فيها على كثير من المعاني من المجرور، أعني المضاف ومثل الحروف التي تفضي بالأفعال إلى الذوات من غير تكلف ألفاظ أخرى، وليس يوجد ذلك إلا في لغة العرب، وأما غيرها من اللغات فكل معنى أو حال لا بد له من ألفاظ تخصه بالدلالة"[1].

• **وقال أيضا**[2]: "اعلم أن اللغات كلها ملكات شبيهة بالصناعة؛ إذ هي ملكات في اللسان للعبارة عن المعاني، وجودتها وقصورها بحسب تمام الملكة، أو نقصانها، وليس ذلك بالنظر إلى المفردات، وإنما هو بالنظر إلى التراكيب، فإذا حصلت الملكة التامة في تركيب الألفاظ المفردة للعبير به عن المعاني المقصودة ومراعاة التأليف الذي يطبق الكلام على مقتضى الحال؛ بلغ المتكلم حينئذ الغاية من إفادة مقصوده للسامع".

• **قال إدوارد سابير**: "اللغة وسيلة إنسانية خالصة، وغير غريزية إطلاقًا، لتوصيل الأفكار والأفعال والرغبات عن طريق نظام من الرموز التي تصدر بطريقة إرادية"[3].

ولعل أدق تعريف لها هو تعريف ابن جني؛ لكونه يشمل جوانب كثيرة متعلقة بها بكونها صوت متعلق بقوم معينين يعبرون بها عن أغراضهم، فهذا التعريف يشمل الجوانب التالية:

- **الجانب الصوتي اللغوي.**
- **الجانب الاجتماعي المتمثل في التعبير والفكر.**
- **الجانب الانفصالي فلكل قوم لغتهم.**

(١) المقدمة، (بيروت، دار القلم، د.ط، ١٩٨٤م)، ص ٥٤٦.

(٢) المصدر نفسه، ص٥٥٤.

(٣) الارتقاء بالعربية في وسائل الإعلام، (سلسلة كتاب (الأمة)، عدد٨٤، رجب ١٤٢٢هـ)، ص٤٧.

المطلب الثالث: العلاقة بين القرآن الكريم واللغة العربية:

اللسان العربي هو شعار الإسلام كما قال شيخ الإسلام ابن تيمية[١]، واللغة العربية من الدين لا تنفصل عنه، ولا ينفصل عنها، بل هي الدين بعينه، فقد نزل بها كتاب ربنا، وأصبح تعلمها وإتقانها ومعرفة قواعدها وأسرارها فرضًا واجبًا؛ لأن فهم الكتاب والسنة ومعرفة أحكام الدين من الأمور المتعيّنة على المسلم، وهذا لا يتم إلا بفهم اللغة العربية لغة القرآن والدين والتراث.

وقد كرَّم الله -تعالى- هذه اللغة العربية؛ إذ أنزل كتابه الكريم على رجلٍ من أهلها -صلَّى الله عليه وسلَّم- وكرَّمها؛ إذ حَفظها بحفظِ ذلك الكتاب العظيم، وهذا التكريم قطعيُّ الدلالة على أنَّها خيرُ اللغات، وبهذا تتضح العلاقة بين القرآن الكريم وبين اللغة العربية، الذي تفضل عليها أن جعلها أسمى اللغات وأدومها، ويكفي عناية بها أن ذكر اللسان العربي في أكثر من موضع فيه، **وفيما يلي هذه المواضع، متبوعة ببعض أقوال العلماء بيانًا لعلاقة الاتصال والالتصاق والتكامل بينهما:**

• قال تعالى: ﴿ وَهَٰذَا كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ مُبَارَكٌ فَٱتَّبِعُوهُ وَٱتَّقُوا۟ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ أَن تَقُولُوٓا۟ إِنَّمَآ أُنزِلَ ٱلْكِتَٰبُ عَلَىٰ طَآئِفَتَيْنِ مِن قَبْلِنَا وَإِن كُنَّا عَن دِرَاسَتِهِمْ لَغَٰفِلِينَ ﴿١٥٦﴾ أَوْ تَقُولُوا۟ لَوْ أَنَّآ أُنزِلَ عَلَيْنَا ٱلْكِتَٰبُ لَكُنَّآ أَهْدَىٰ مِنْهُمْ ۚ فَقَدْ جَآءَكُم بَيِّنَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ ۚ فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن كَذَّبَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَصَدَفَ عَنْهَا ۗ سَنَجْزِى ٱلَّذِينَ يَصْدِفُونَ عَنْ ءَايَٰتِنَا سُوٓءَ ٱلْعَذَابِ بِمَا كَانُوا۟ يَصْدِفُونَ ﴾ [سورة الأنعام: ١٥٥-١٥٧].

• وقال سبحانه: ﴿ فَإِنَّمَا يَسَّرْنَٰهُ بِلِسَانِكَ لِتُبَشِّرَ بِهِ ٱلْمُتَّقِينَ وَتُنذِرَ بِهِۦ قَوْمًا لُّدًّا ﴿٩٧﴾ وَكَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُم مِّن قَرْنٍ هَلْ تُحِسُّ مِنْهُم مِّنْ أَحَدٍ أَوْ تَسْمَعُ لَهُمْ رِكْزًا ﴾ [سورة مريم: ٩٧-٩٨].

(١) اقتضاء الصراط المستقيم مخالفة أصحاب الجحيم، تحقيق: محمد حامد الفقي، (القاهرة، مطبعة السنة المحمدية، د.ط، ١٣٦٩هـ)، ص ٢٠٣.

• وقال عز وجل: ﴿ فَإِنَّمَا يَسَّرْنَٰهُ بِلِسَانِكَ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴿٥٨﴾ فَٱرْتَقِبْ إِنَّهُم مُّرْتَقِبُونَ ﴾ [سورة الدخان: ٥٨-٥٩].

• وقال: ﴿ وَلَوْ نَزَّلْنَٰهُ عَلَىٰ بَعْضِ ٱلْأَعْجَمِينَ ﴿١٩٨﴾ فَقَرَأَهُۥ عَلَيْهِم مَّا كَانُوا۟ بِهِۦ مُؤْمِنِينَ ﴾ [سورة الشعراء: ١٩٨-١٩٩].

• وقال تعالى: ﴿ إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ قُرْءَٰنًا عَرَبِيًّا لَّعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴾ [سورة يوسف: ٢].

• وقال: ﴿ وَكَذَٰلِكَ أَنزَلْنَٰهُ حُكْمًا عَرَبِيًّا ۚ وَلَئِنِ ٱتَّبَعْتَ أَهْوَآءَهُم بَعْدَمَا جَآءَكَ مِنَ ٱلْعِلْمِ مَا لَكَ مِنَ ٱللَّهِ مِن وَلِىٍّ وَلَا وَاقٍ ﴾ [سورة الرعد: ٣٧].

• وقال: ﴿ وَكَذَٰلِكَ أَنزَلْنَٰهُ قُرْءَانًا عَرَبِيًّا وَصَرَّفْنَا فِيهِ مِنَ ٱلْوَعِيدِ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ أَوْ يُحْدِثُ لَهُمْ ذِكْرًا ﴾ [سورة طه: ١١٣].

• وقال: ﴿ قُرْءَانًا عَرَبِيًّا غَيْرَ ذِى عِوَجٍ لَّعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ ﴾ [سورة الزمر: ٢٨].

• وقال: ﴿ كِتَٰبٌ فُصِّلَتْ ءَايَٰتُهُۥ قُرْءَانًا عَرَبِيًّا لِّقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴾ [سورة فصلت: ٣].

• وقال: ﴿ وَكَذَٰلِكَ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ قُرْءَانًا عَرَبِيًّا لِّتُنذِرَ أُمَّ ٱلْقُرَىٰ وَمَنْ حَوْلَهَا وَتُنذِرَ يَوْمَ ٱلْجَمْعِ لَا رَيْبَ فِيهِ ۚ فَرِيقٌ فِى ٱلْجَنَّةِ وَفَرِيقٌ فِى ٱلسَّعِيرِ ﴾ [سورة الشورى: ٧].

• وقال: ﴿ إِنَّا جَعَلْنَٰهُ قُرْءَانًا عَرَبِيًّا لَّعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴾ [سورة الزخرف: ٣].

• وقال: ﴿ وَمِن قَبْلِهِۦ كِتَٰبُ مُوسَىٰٓ إِمَامًا وَرَحْمَةً ۚ وَهَٰذَا كِتَٰبٌ مُّصَدِّقٌ لِّسَانًا عَرَبِيًّا لِّيُنذِرَ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ وَبُشْرَىٰ لِلْمُحْسِنِينَ ﴾ [سورة الأحقاف: ١٢].

• وقال: ﴿ وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّهُمْ يَقُولُونَ إِنَّمَا يُعَلِّمُهُۥ بَشَرٌ ۗ لِّسَانُ ٱلَّذِى يُلْحِدُونَ إِلَيْهِ أَعْجَمِىٌّ وَهَٰذَا لِسَانٌ عَرَبِىٌّ مُّبِينٌ ﴾ [سورة النحل: ١٠٣].

• وقال: ﴿ وَإِنَّهُۥ لَتَنزِيلُ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٩٢﴾ نَزَلَ بِهِ ٱلرُّوحُ ٱلْأَمِينُ ﴿١٩٣﴾ عَلَىٰ قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ ٱلْمُنذِرِينَ ﴿١٩٤﴾ بِلِسَانٍ عَرَبِىٍّ مُّبِينٍ ﴾ [سورة الشعراء: ١٩٢-١٩٥].

• وقال: ﴿وَلَوْ جَعَلْنَٰهُ قُرْءَانًا أَعْجَمِيًّا لَّقَالُوا۟ لَوْلَا فُصِّلَتْ ءَايَٰتُهُۥٓ ءَا۬عْجَمِىٌّ وَعَرَبِىٌّ ۗ قُلْ هُوَ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ هُدًى وَشِفَآءٌ ۖ وَٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ فِىٓ ءَاذَانِهِمْ وَقْرٌ وَهُوَ عَلَيْهِمْ عَمًى ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ يُنَادَوْنَ مِن مَّكَانٍۭ بَعِيدٍ﴾ [سورة فصلت: ٤٤].

- بعض أقوال العلماء في بيان علاقة الاتصال والالتصاق والتكامل بينهما:

○**قال محمد بن عمر بن الحسين الرازي:** "لما كان المرجع في معرفة شرعنا إلى القرآن والأخبار، وهما واردان بلغة العرب ونحوهم وتصريفهم ،كان العلم بشرعنا موقوفًا على العلم بهذه الأمور، وما لا يتم الواجب المطلق به، وكان مقدورًا للمكلف فهو واجب"(١).

○**قال شيخ الإسلام أحمد ابن تيمية:** "فإن الله لما أنزل كتابه باللسان العربي وجعل رسوله مبلغًا عنه الكتاب والحكمة بلسانه العربي، وجعل السابقين إلى هذا الدين متكلمين به لم يكن سبيل إلى ضبط الدين ومعرفته إلا بضبط هذا اللسان، وصارت معرفته من الدين، وصار اعتياد التكلم به أسهل على أهل الدين في معرفة دين الله، وأقرب إلى إقامة شعائر الدين، وأقرب إلى مشابهتهم للسابقين الأولين من المهاجرين والأنصار في جميع أمورهم"(٢).

○**قال أبو منصور الثعالبي في كلام جميل له:** "فإن من أحب الله تعالى أحب رسوله محمداً صلى الله عليه وسلم، ومن أحبَّ الرسول العربي أحبَّ العرب، ومن أحبَّ العرب أحبَّ العربية التي بها نزل أفضل الكتب على أفضل العجم والعرب، ومن أحبَّ العربية عُنِيَ بها وثابر عليها وصرف هِمَّته إليها، ومن هداه الله للإسلام، وشرح صدره للإيمان، وآتاه حسن سريرة فيه؛ اعتقد أن محمدًا صلى الله عليه وسلم خير الرسل، والإسلام خير الملل،

(١) المحصول في علم الأصول، تحقيق: طه جابر فياض العلواني، (الرياض، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، د.ط، ١٤٠٠هـ)، ج١، ص ٢٧٥.

(٢) اقتضاء الصراط المستقيم مخالفة أصحاب الجحيم، ص ١٦٢، ١٦٣.

والعرب خير الأمم والعربية خير اللغات والألسنة، والإقبال على تفهمها من الديانة؛ إذ هي أداة العلم ومفتاح التفقه في الدين، وسبب إصلاح المعاش والمعاد، ثم هي لإحراز الفضائل والاحتواء على المروءة، وسائر أنواع المناقب كالينبوع للماء والزند للنار، ولو لم يكن في الإحاطة بخصائصها والوقوف على مجاريها ومصارفها والتبحر في جلائها ودقائقها إلا قوة اليقين في معرفة إعجاز القرآن وزيادة البصيرة في إثبات النبوة التي هي عمدة الإيمان لكفى بهما فضلًا، يَحْسُنُ فيهما أثره ويطيب في الدارين ثمره، فكيف وأيسر ما خصَّها الله عزَّ وجلَّ به من ضروب الممادح يُكِلُّ أقلام الكتبة؟ ويتعب أنامل الحسبة؟ ولِما شرفها الله تعالى عزَّ اسمه وعظَّمها ورفع خطرها، وكرَّمها، وأوحى بها إلى خير خلقه، وجعل لسانَ أمينه على وحيه وخلفائه في أرضه وأراد بقضائها ودوامها حتى تكون في هذه العاجلة لخيار عباده، وفي تلك الآجلة لساكني جنانه ودار ثوابه"[1].

○**قال إسماعيل ابن كثير** في تفسير هذه الآية: ﴿فَإِنَّمَا يَسَّرْنَاهُ بِلِسَانِكَ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ﴾ [سورة الدخان: ٥٨]، أي: إنما يسرنا هذا القرآن الذي أنزلناه سهلًا واضحًا بينًا جليًّا بلسانك الذي هو أفصح اللغات وأجلاها وأحلاها وأعلاها ﴿لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ﴾ أي: يتفهمون ويعلمون"[2].

○**قال أحمد بن فارس:** "قال جلّ ثناؤه: ﴿خَلَقَ الْإِنسَانَ ۝٣ عَلَّمَهُ الْبَيَانَ﴾ [سورة الرحمن: ٤]، فقدّم -جلّ ثناؤه- ذكر البيان عَلَى جميع مَا توحَّد بخلقه وتفرَّد بإنشائه، من شمس وقمر ونجم وشجر وغيرِ ذَلِكَ من الخلائق المحْكمة والنشايا المُتْقَنة، فلمّا خصَّ -جلَّ ثناؤه- اللسانَ العربيَّ بالبيانِ عُلم أن سائر اللغات قاصرةٌ عنه وواقعة دونه"[3].

(١) فقه اللغة وسر العربية، تحقيق: عبد الرزاق المهدي، (إحياء التراث العربي، ط١، ١٤٢٢هـ / ٢٠٠٢م)، ص١٥.

(٢) تفسير القرآن العظيم، (بيروت، دار الفكر، د.ط، ١٤٠١هـ)، ج٤ ص١٤٨.

(٣) الصاحبي في فقه اللغة العربية ومسائلها وسنن العرب في كلامها، (الناشر: محمد علي بيضون، ط١، ١٤١٨هـ/ ١٩٩٧م)، ص١٩.

المبحث الثاني: تفردات لغة القرآن عن اللغة العربية

لما تشرفت اللغة العربية بأخذها أحسن لقب وهو لغة القرآن، وانتسبت إلى أشرف منسوب وهو القرآن الكريم، اكتسبت خصائص ومميزات خالفت بها معهود العرب في كلامهم، فصار للغة القرآنية تفردات عن لغة العرب حتى عجزوا عن الإتيان بمثله، وهم أرباب اللغة والبيان، وهذه الزيادات التي أضافها القرآن الكريم في استعماله للغة العربية كثيرة، وتدل يقينًا أنها من عند الله -عز وجل-؛ إذ لا يمكن لبشر يتكلم بلسان عربي، و لم يعهد عنه العرب تميزًا فيه أن يأتي بالقرآن من تلقاء نفسه وهو مخالف في أسلوبه وألفاظه واستعمالاته وثقافته وتراكيبه للغة العربية، وهذه التفردات القرآنية يمكن تقسيمها إلى ثلاثة محاور أو جهات أساسية.

المطلب الأول: من جهة النحو والإعراب:

إذا كان النحو العربي هو علم يبحث في أصول تكوين الجملة وقواعد الإعراب، وغايته أن يحدد أساليب تكوين الجمل ومواضع الكلمات ووظيفتها فيها -كما يحدد الخصائص التي تكتسبها الكلمة من ذلك الموضع، سواءً أكانت خصائص نحوية كالابتداء والفاعلية والمفعولية أو أحكامًا نحوية؛ كالتقديم والتأخير والإعراب والبناء- فإن قواعده كثيرة يعرفها كل من له في اللغة العربية نصيب، غير أن القرآن الكريم قد تفرد ببعض القواعد النحوية والإعرابية، والتي تسمى عند البعض بمستثنيات القاعدة العربية، فخرج بقواعده هذه عن معهود العرب في كلامها، حتى صارت القواعد العربية تحتكم للقواعد القرآنية، وهذا يدل على أن القرآن الكريم صحح اللسان العربي؛ فهذب نطقه وحسن استعماله، بل جاء بتراكيب نحوية مخالفة حيرت اللغويين والمفسرين والقراء، ومهما عرضوها على قواعدهم فلم يجدوا لها مخرجا حتى كشف القران الكريم عن أسراره في الإعجاز اللغوي والبياني.

وفيما يلي مثال يبيّن تفرد القرآن عن اللغة العربية في قضية الإعراب:

قال تعالى: ﴿ لَّٰكِنِ ٱلرَّٰسِخُونَ فِي ٱلْعِلْمِ مِنْهُمْ وَٱلْمُؤْمِنُونَ يُؤْمِنُونَ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَآ أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ ۚ وَٱلْمُقِيمِينَ ٱلصَّلَوٰةَ ۚ وَٱلْمُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَٱلْمُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ أُوْلَٰٓئِكَ سَنُؤْتِيهِمْ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿١٦٢﴾ ﴾ [النساء:١٦٢].

الشاهد في هذه الآية قوله تعالى: ﴿ وَٱلْمُقِيمِينَ ٱلصَّلَوٰةَ ﴾؛ حيث جاء منصوبًا بين مرفوعين، هما قوله: ﴿وَٱلْمُؤْمِنُونَ ﴾، وقوله: ﴿ وَٱلْمُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ ﴾، فمجيء "**الْمُقِيمِينَ**" بالياء خلافًا لنسق ما قبله لفتَ أنظار النحويّين والمفسّرين والقُرّاء، فأكثروا القول في توجيهه، مع إجماعهم على صحّته، وفيما يلي هذه الأقوال[1]:

١- ﴿ وَٱلْمُقِيمِينَ ٱلصَّلَوٰةَ ﴾ على أنّه منصوبٌ على القطع المفيد للمدح، كما في قطع النّعوت؛ وهذا القطع مفيدٌ لبيان فضل الصّلاة؛ فَكَثُر الكلامُ في الوصف بأن جُعل في جملة أخرى.

٢- أنّه معطوفٌ على (ما)، أي: يؤمنون بما أُنزل إليك وبالمقيمين؛ والمراد بهم الملائكة.

وقيل: التّقدير: وبدين المقيمين؛ فيكون المراد بهم المسلمين.

٣- أنّه معطوفٌ على (قبل)، تقديره: ومن قبل المقيمين، فحذف (قبل)، وأُقيم المضاف إليه مقامه.

٤- أنّه معطوفٌ على الكاف في (قبلك).

٥- أنّه معطوفٌ على الكاف في (إليك).

٦- أنّه معطوفٌ على الهاء والميم في (منهم).

(١) الصايغ، محمد بن الحسن، اللمحة في شرح الملحة، دراسة وتحقيق: إبراهيم بن سالم الصاعدي، (المملكة العربية السعودية، عمادة البحث العلمي بالجامعة الإسلامية، المدينة المنورة، ط١، ١٤٢٤هـ/ ٢٠٠٤م)، ج٢ ص٧٣٣.

والذي يكثر استعماله عند المفسرين هو الذى اعتمده سيبويه في كتابه[١]، إلا أن ابن القيم –رحمه الله– ينبه لقواعد خاصة بالقرآن الكريم، ويحذر من المبالغة في اعتماد الاحتمالات اللغوية التي لا تليق بمعهود القرآن الكريم، فنجده يقول عن الآية السابقة: "ومثل قول بعضهم في قوله تعالى: ﴿ لَّٰكِنِ ٱلرَّٰسِخُونَ فِي ٱلۡعِلۡمِ مِنۡهُمۡ وَٱلۡمُؤۡمِنُونَ يُؤۡمِنُونَ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيۡكَ وَمَآ أُنزِلَ مِن قَبۡلِكَ ۚ وَٱلۡمُقِيمِينَ ٱلصَّلَوٰةَ ﴾، إن المقيمين مجرور بواو القسم، ونظائر ذلك أضعاف أضعاف ما ذكرنا، وأوهى بكثير، بل للقرآن عرف خاص ومعان معهودة لا يناسبه تفسيره بغيرها، ولا يجوز تفسيره بغير عرفه والمعهود من معانيه، فإن نسبة معانيه إلى المعاني كنسبة ألفاظه إلى الألفاظ، بل أعظم، فكما أن ألفاظه ملوك الألفاظ وأجلها وأفصحها، ولها من الفصاحة أعلى مراتبها التي يعجز عنها قدر العالمين، فكذلك معانيه أجل المعاني وأعظمها وأفخمها، فلا يجوز تفسيره بغيرها من المعاني التي لا تليق به بل غيرها أعظم منها وأجل وأفخم، فلا يجوز حمله على المعاني القاصرة بمجرد الاحتمال النحوي الإعرابي، فتدبر هذه القاعدة، ولتكن منك على بال، فإنك تنتفع بها في معرفة ضعف كثير من أقوال المفسرين وزيفها، وتقطع أنها ليست مراد المتكلم تعالى بكلامه"[٢] .

(١) تحقيق عبد السلام محمد هارون، (بيروت، دار الجيل، د.ط، د.ت)، ج٢ص٦٢-٦٤.

(٢) بدائع الفوائد، (بيروت، دار الكتاب العربي، د.ط، د.ت)، ج٣ص ٢٧، ٢٨.

المطلب الثاني: من جهة الأسلوب والاستعمال للفظي والمعنى (علم البيان والمعاني):

لقد تفرد القرآن الكريم في أسلوبه، واستعماله للألفاظ والمعاني، "وقد أكسب اللغة العربية ثروة هائلة من المعاني التي جاء بها، ولم يكن للعرب معرفة بها في حياتهم الجاهلية، وقد عبر عن هذه المعاني بالألفاظ المتداولة بينهم، لذا فقد حمّلها من المعاني ما لم تكن تحتمله من قبل، وذلك بنقل بعض الكلمات من معناها إلى معنى أخر جديد ذي صلة بالمعنى الأصلي، أو بإضافة معان جديدة إلى بعض آخر من الكلمات مع بقاء المعنى الأصلي مستعملًا فيما وضع له، أو بإيجاد تراكيب جديدة تتحمل من المعاني مالا تتحمله ألفاظ بها متفرقة ، اقتضتها طبيعة الحياة الجديدة"(١).

وفي هذا الباب يقول الباحث فهد الرومي: "فإن القرآن حينما نزل بلغة العرب قد أحدث تأثيره الظاهر فيها، فهذبها ورقق من حواشيها، وسما بأسلوبها، فهو حين نقل أهلها من الكفر إلى الإيمان جاء بحشد من الألفاظ الاصطلاحية، والمدلولات الإسلامية التي لم يكن أولئك يعرفونها، وهي ألفاظ ومصطلحات أخرجت عن مدلولها الأول إلى مدلول جديد"(٢).

وهكذا يضرب القرآن الكريم استعمالًا فريدًا لكلمات وأساليب اللغة العربية ليخرجها في ثوب لم يعهده العرب أنفسهم، فيتحدى بإعجازه كل من يشكك فيه قديمًا وحديثًا، ويثبت أن اللغة العربية مع مالها من خصائص ومرونة تتميز بها عن باقي لغات العالم لم ترق للإتيان بمثل القرآن الكريم، لا في شعرها ولا في نثرها، وفيما يلي مثال يبين تفرد القرآن الكريم وتميزه عن اللغة العربية في الأسلوب والتركيب:

– **ضرب عبد القاهر الجرجاني** مثلًا يبين فيه أن الفضل يعود إلى الارتباط بين الكلمات بعضها مع بعض (الأسلوب) وذلك في قوله تعالى: ﴿وَقِيلَ يَٰٓأَرۡضُ ٱبۡلَعِي مَآءَكِ

(١) عبد الجليل، عبد الرحيم، لغة القرآن الكريم ، (مكتبة الرسالة الحديثة، ط١، ١٤٠١هـ/ ١٩٨١م)، ص ٣٦٥.

(٢) خصائص القرآن الكريم، (المملكة العربية السعودية، مكتبة العبيكان، ط ١٠، ١٤٢٠ه/٢٠٠٠م)، ص ٦٥.

﴿وَيَٰسَمَآءُ أَقۡلِعِي وَغِيضَ ٱلۡمَآءُ وَقُضِيَ ٱلۡأَمۡرُ وَٱسۡتَوَتۡ عَلَى ٱلۡجُودِيِّۖ وَقِيلَ بُعۡدٗا لِّلۡقَوۡمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ٤٤﴾ [هود:٤٤]؛ حيث قال: "فتجَلَّى لك منها الإعجازُ، وبَهَرك الذي تَرى وتَسمع! إنك لم تَجدْ ما وجدتَ منَ المزيَّةِ الظاهرة، والفضيلةِ القاهرة، إلا لأمرٍ يرجعُ إلى ارتباطِ هذه الكلمِ بعضِها ببعضٍ؛ وإن لم يعرضْ لها الحسنُ والشرفُ إلاّ مِنْ حيثُ لاقتِ الأولى بالثانية والثالثة بالرابعة؟ وهكذا، إلى أن تستقرِبَها إلى آخرِها، وأنَّ الفضلَ تَنَاتَجَ ما بينها، وحصلَ من مجموعها إن شككتَ فتأملْ!، هل ترى لفظةً منها بحيثُ لو أُخذتْ من بين أخواتها، وأُفردتْ لأَدَّتْ منَ الفصاحة ما تؤديه وهي في مكانها منَ الآية؟، قُل: "ابلعي" واعتَبِرْها وحدَها من غيرِ أن تنظرَ إلى ما قبلها وإلى ما بعدَها، وكذلك فاعتبرْ سائرَ ما يليها. وكيفَ بالشكِّ في ذلك ؟، ومعلومٌ أنَّ مبدأ العظمةِ في أن نُوديتِ الأرضُ، ثم أُمرتُ، ثم في أنْ كانَ النداءُ ب "يا" دُوْنَ "أيّ" نحوُ: يا أيتها الأرضُ، ثم إضافةُ الماءِ إلى الكافِ دونَ أن يقالَ: ابلعي الماءَ، ثم أنْ أُتبعَ نداءُ الأرض وأمرُها بما هو من شأنها، ونداءُ السماء وأمرُها كذلك بما يخصُّها، ثم أنْ قيلَ : "وغيضَ الماءُ"، فجاء الفعل على صيغة " فُعِلَ" الدالَّة على أنه لم يَغِضْ إلاّ بأمرٍ آمرٍ، وقدرةِ قادر، ثم تأكيدُ ذلك وتقريره بقولهِ تعالى: ﴿وَقُضِيَ ٱلۡأَمۡرُ﴾، ثم ذكَر ما هو فائدةُ هذهِ الأمورِ، وهو: ﴿ وَٱسۡتَوَتۡ عَلَى ٱلۡجُودِيِّ﴾، ثم إضمارُ السفينةِ قبلَ الذكرِ كما هو شَرْطُ الفخامةِ والدَّلالةِ على عِظَمِ الشأن، ثم مقابلةُ "قيل" في الخاتمةِ ب "قيل" في الفاتحة، أَفَتَرى لشيءٍ من هذه الخصائصِ التي تملؤك بالإعجازِ روعةً، وتحضُرُك عندَ تصورِها هيبةٌ تحيطُ بالنفس من أقطارِها تعلقاً باللفظ من حيثُ هو صوتٌ مسموعٌ، وحُرُوفٌ تَتوالى في النُّطق؟، أم كلُّ ذلك لما بينَ معاني الألفاظ منَ الاتِّساق العجيب؟"(١).

و كانت" هذه الفكرة (النظم القرآني) التي أتى بها عبد القاهر الجرجاني بلا شك من خصائص أسلوب القرآن الكريم التي لا توجد في كتاب سواه"(٢).

(١) دلائل الإعجاز، تحقيق: محمد التنجي، (بيروت، دار الكتاب العربي، ١٤١٥هـ /١٩٩٥م)، ص ٥٣، ٥٤.

(٢) الرومي، فهد بن عبد الرحمن، خصائص القرآن الكريم، ص ٢٥.

المطلب الثالث: من جهة الرسم والمقامات الصوتية لفواصل الآيات:

إن الناظر في القرآن الكريم، يجد في الوهلة الأولى اختلافًا واضحًا في رسم بعض الألفاظ عن الرسم العربي، و لم يأتِ هذا الاختلاف عبثًا؛ بل كان مقصودا للحكم التالية:

-زيادة المعنى عن المقصود اللغوي، ويستفاد ذلك من السياق القرآني.

-احتواء الاختلاف في لغات العرب، والقراءات (الأوجه السبعة أو بعضها).

ومثاله:

"النعمة" بالهاء إلا في أحد عشر موضعًا مدت بها؛ في البقرة: ﴿ وَٱذۡكُرُواْ نِعۡمَتَ ٱللَّهِ عَلَيۡكُمۡ ﴾، في آل عمران، والمائدة، وفي إبراهيم موضعان، والنحل ثلاثة مواضع، وفي لقمان، وفاطر، والطور، والحكمة فيها: ما ذكرنا أن الحاصلة بالفعل في الوجود تمد، نحو قوله في إبراهيم: ﴿ وَإِن تَعُدُّواْ نِعۡمَةَ ٱللَّهِ لَا تُحۡصُوهَآ ﴾ بدليل قوله: ﴿ إِنَّ ٱلۡإِنسَٰنَ لَظَلُومٞ كَفَّارٞ ﴾، فهذه نعمة متصلة بالظّلوم الكفار في تنزيلهما، وهذا بخلاف التي في سورة النحل: ﴿ وَإِن تَعُدُّواْ نِعۡمَةَ ٱللَّهِ لَا تُحۡصُوهَآ ﴾ كتبت مقبوضة؛ لأنها بمعنى الاسم، بدليل قوله: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَغَفُورٞ رَّحِيمٞ ﴾ فهذه نعمة وصلت من الرب؛ فهي ملكوتية، ختمها باسمه -عز وجل- وختم الأولى باسم الإنسان"[1].

وأما من ناحية المقامات الصوتية التي تتميز بها فواصل الآيات؛ فجاءت من كون النص القرآني ليس بنثر ولا بشعر، فنظمه فريد من نوعه، و لم تسبق العرب إلى مثله، و لم تحسن الإتيان بشبيهه، حتى أنها تجاوزت بعض القواعد لتتفنن في القوافي تحت ما يسمى "الضرورة الشعرية"، إلا أن القرآن الكريم يبقى بنظمه متميزًا عن اللغة العربية، بخصّيصته

(١) الزركشي، بدر الدين محمد بن عبد الله بن بهادر، البرهان في علوم القرآن: الزركشي، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، (دار إحياء الكتب العربية عيسى البابى الحلبي وشركائه، ط١، ١٣٧٦ هـ/١٩٥٧م)، ج١ص٤١١، ٤١٢.

الفريدة وهي تأثيره على النفوس، ولفهد الرومي كلام جميل معبر عن هذه الخاصية، يقول: "وتأثير القرآن قد بلغ مبلغًا خرق به العادة المعهودة من تأثير الكلام في النفوس، واستيلائه على قلوب المخاطبين استلاءً كالقهر وما هو بقهر، وفعله في القلوب كالسحر، وما هو بسحر، لا يختص بذلك الأنصار دون الخصوم، ولا من مخالفيه دون مخالفيه، بل يغزو القلب من حيث لا يمكن لصاحبه رده ..."(١).

ومثاله:

١- حادثة إسلام عمر بن الخطاب رضي الله عنه المشهورة(٢)، فلم يشهد قلبه إسلامًا و لم يرتوِ إيمانًا إلا بعد سماعه لآيات من القرآن الكريم، وقد كان هذا القلب مليئًا بالعناد والعداء للإسلام وما يتعلق به.

٢- حادثة الوليد بن المغيرة، وقولته الشهيرة، فلم تعرف العرب أفصح منه وأبلغ ولا أرق منه وأذوق للشعر والنثر، إلا أنه خلد نفسه بمقولته هذه.

قال الإمام أبو عبد الله الحاكم النيسابوري(٣): "أخبرنا أبو عبد الله محمد بن علي الصنعاني بمكة، حدثنا إسحاق بن إبراهيم، أنبأ عبد الرزاق، عن معمر، عن أيوب السختياني، عن عكرمة، عن ابن عباس -رضي الله عنهما-: أن الوليد بن المغيرة جاء إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقرأ عليه القرآن فكأنه رق له، فبلغ ذلك أبا جهل، فأتاه، فقال: يا عم!! إن قومك يرون أن يجمعوا لك مالًا. قال: لِمَ، قال: ليعطوكه، فإنك أتيت محمدًا لتعرض لما قبله، قال: قد علمت قريش أني من أكثرها مالًا، قال: فقل فيه قولا يبلغ قومك إنك منكر له أو إنك كاره له، قال: وماذا أقول؟ فوالله ما فيكم رجل أعلم بالأشعار مني،

(١) خصائص القرآن الكريم، فهد بن عبد الرحمن بن سليمان الرومي، ص ١٠٢.

(٢) انظر: ابن حجر العسقلاني، أحمد بن علي، المطالب العالية بزوائد المسانيد الثمانية، تحقيق: سعد بن ناصر بن عبد العزيز الشتري، (السعودية، دار العاصمة ودار الغيث، د.ط، ١٤١٩هـ)، ج١٧، ص٢٥٩، ٢٦٠.

(٣) المستدرك على الصحيحين، تحقيق مصطفى عبد القادر عطا، (بيروت، دار الكتب العلمية، د.ط، ١٤١١هـ / ١٩٩٠م)، ج٢ ص ٥٥٠، وقال عَقِبَه: هذا حديث صحيح الإسناد على شرط البخاري و لم يخرجاه.

ولا أعلم برجز ولا بقصيدة مني، ولا بأشعار الجن، والله ما يشبه الذي يقول شيئًا من هذا، ووالله إن لقوله الذي يقول حلاوة، وإن عليه لطلاوة، وأنه لمثمر أعلاه، مغدق أسفله، وإنه ليعلو، وما يعلى، وإنه ليحطم فاتحته، قال: لا يرضى عنك قومك حتى تقول فيه، قال: فدعني حتى أفكر، فلما فكر؛ قال: هذا سحر يؤثر يأثره عن غيره، فنزلت: ﴿ذَرْنِي وَمَنْ خَلَقْتُ وَحِيدًا﴾ [سورة المدثر: ١١].

إن تميز القرآن الكريم وتفرده في رسمه للكلمات وفي إنهائه للعبارات ليس صدفة زمان، ولا جهد إنسان، وإنما هو إبداع من الرحمن، ومعجزة من إله الأكوان، بيّن من خلالها أن القرآن الكريم كلامه لا يشبه أي كلام، وخطابه أرقى من أي خطاب، ولغته أجمل وأفضل اللغات على الإطلاق، وأهدافها أسمى الأهداف وأشرفها، فمن قال أن القرآن من إنشاء محمد صلى الله عليه وسلم فليأت بالبرهان؛ لأن الدليل والبيان قاما على خلاف المقولة، والأصل ما نقول والفرع ما يقولون، والبيّنة على من ادعى.

ولا شك أن اللغة العربية بانتسابها إلى القرآن الكريم قد تشرفت بالاستفادة من لغته تطورًا ورقيًّا ومرونة، وكان لها تأثير واضح في أسلوبها واستعمالاتها وإبراز خصائصها، فاكتمل بهذا انسجام اللغتين فنجحتا في بيان مراد الله تعالى من رسالته العالمية التي أرسلها للناس كافة.

الخاتمة

وليس لي أن أختم بعد هذه الفكرة المتواضعة إلا بالخلاصة المتمثلة في النقاط التالية:

- يعد البحث في هذا المجال:

١- جوابًا للإشكالية التالية: إذا كان القرآن الكريم أخذ قواعده وأساليبه من لغة العرب؛ فلماذا خالفها في كثير من مواضعه؟.

وجوابها باختصار: أن اللغة العربية هي الأسبق في الوجود من القرآن الكريم عند العرب، ونزل القرآن الكريم مراعيًا قواعد وأساليب كلامهم، إلا أن ما تفرد به يعد فضيلة له على اللغة العربية، ولا مانع من ذلك فهو كتاب سماوي مقدس، له مميزاته ولغته وعرفه، ويخصه الله بما يشاء.

٢- بيانا بل دليلا على أن النّبي صلى الله عليه وسلم لم يأتِ بالقرآن الكريم من عنده كما زعم أعداؤه، بدليل هذه التفردات والاختلافات بين لغة القرآن الكريم واللغة العربية، فلو كان من عنده لما ظهرت وجوه الإعجاز في القرآن الكريم.

٣- اختيار اللغة العربية لم يكن عبثًا، فهذه اللغة تملك من الخصائص ما يجعل لغة القرآن الكريم تنسجم وتتوافق معها، ليقع التحدي بالقرآن الكريم ما بقيت اللغة حية في كل زمان ومكان.

ومن التوصيات:

كثر الكلام عن مصدر القرآن الكريم وإن كانت القضية مفصولة عند المسلمين، إلا أنها لا تزال شائكة في منظور غير المسلمين، حتى أنهم يزعمون أن القرآن الكريم لا يمكن أن يكون كلامًا إلهيًّا، وليس فيه إعجاز أيًّا كان نوعه، بل هو كتاب كباقي الكتب التي أنشأتها البيئة الإنسانية، ولم تكفهم كل البحوث التي يقدمها المسلمون إثباتًا للإعجاز وللمصدر الإلهي للقرآن الكريم -وهذا المقال أحد المحاولات لإقناع كل من يشك في القرآن الكريم- وإن كانت هذه البحوث لا تشبع عقولهم، ولا تروي عطشهم؛ لأنهم يبحثون عن أدلة عقلية محضة تتوافق مع العقول المعاصرة، لذلك يتعين تكملةً لهذا المقال ولغيره من البحوث في هذا المجال أن تشد الهمة لبيان الأدلة العقلية على أن القرآن الكريم من عند الله وليس من عند النّبي صلى الله عليه وسلم، لكي لا يكون لغير المسلمين حجة على المسلمين لعدم الإحسان في التبليغ، رغم أن القرآن الكريم لا يحتاج إلى جهد المسلمين للدفاع عنه؛ لأنه يدافع عن نفسه، والزمن شاهد على ذلك.

قائمة المصادر والمراجع

١. القرآن الكريم.

٢. ابن القيم، محمد بن أبي بكر أيوب الزرعي أبو عبد الله، (د.ت)، بدائع الفوائد، (د.ط)، بيروت، دار الكتاب العربي.

٣. ابن النجار الحنبلي، تقي الدين أبو البقاء محمد بن أحمد بن عبد العزيز بن علي الفتوحي، (١٤١٨هـ، ١٩٩٧م)، شرح الكوكب المنير، تحقيق: محمد الزحيلي، نزيه حماد، (الطبعة الثانية)، المملكة العربية السعودية، مكتبة العبيكان.

٤. ابن تيمية، أحمد بن عبد الحليم، (١٣٦٩هـ)، اقتضاء الصراط المستقيم مخالفة أصحاب الجحيم، تحقيق محمد حامد الفقي، (د.ط)، القاهرة، مطبعة السنة المحمدية.

٥. ابن جني، عثمان أبو الفتح، (د.ت)، الخصائص، تحقيق: محمد علي النجار، (د.ط)، لبنان، عالم الكتب.

٦. ابن حجر العسقلاني، أحمد بن علي، (١٤١٩هـ)، المطالب العالية بزوائد المسانيد الثمانية، تحقيق: سعد بن ناصر بن عبد العزيز الشتري، (د.ط)، السعودية، دار العاصمة ودار الغيث.

٧. ابن خلدون، عبد الرحمن بن محمد الحضرمي،(١٩٨٤م)، المقدمة، (د.ط)، بيروت، دار القلم.

٨. ابن فارس، أحمد بن زكريا القزويني، (١٤١٨هـ/١٩٩٧م)، الصاحبي في فقه اللغة العربية ومسائلها وسنن العرب في كلامها، (الطبعة الأولى)، الناشر: محمد علي بيضون.

٩. ابن كثير، اسماعيل بن عمر أبو الفداء، (د.ط)، تفسير القرآن العظيم،(١٤٠١ه)، بيروت، دار الفكر.

١٠. ابن منظور، محمد بن مكرم، (د.ت)، لسان العرب، تحقيق: عبد الله علي الكبير، محمد أحمد حسب الله، هاشم محمد الشاذلي، (د.ط)، القاهرة، دار المعارف.

١١. الثعالبي، عبد الله بن محمد بن اسماعيل أبو منصور، (١٤٢٢هـ / ٢٠٠٢م)، فقه اللغة وسر العربية، تحقيق، عبد الرزاق المهدي،(الطبعة الأولى)، إحياء التراث العربي.

١٢. الجرجاني، عبد القاهر، (١٤١٥هـ /١٩٩٥م)، دلائل الإعجاز، تحقيق: محمد التنجي، (د.ط)، بيروت، دار الكتاب العربي.

١٣. الحاكم النيسابوري، محمد بن عبد الله أبو عبد الله، (١٤١١هـ/١٩٩٠مـ)، المستدرك على الصحيحين، تحقيق: مصطفى عبد القادر عطا، (د.ط)، بيروت، دار الكتب العلمية.

١٤. الرازي، محمد بن عمر بن الحسين الرازي، (١٤٠٠هـ)، المحصول في علم الأصول، تحقيق: طه جابر فياض العلواني، (د.ط)، الرياض، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية.

١٥. الرومي، فهد بن عبد الرحمن بن سليمان، (١٤٢٠هـ/٢٠٠٠م)، خصائص القرآن الكريم، (الطبعة العاشرة)، المملكة العربية السعودية، مكتبة العبيكان.

١٦. الزركشي، بدر الدين محمد بن عبد الله بن بهادر، (١٣٧٦ هـ/ ١٩٥٧م)، البرهان في علوم القرآن، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم،(الطبعة الأولى)، دار إحياء الكتب العربية عيسى البابى الحلبي وشركائه.

١٧. سابيير، إدوارد، (١٤٢٢هـ)، الارتقاء بالعربية في وسائل الإعلام، (د.ط)، سلسلة كتاب (الأمة)، عدد٨٤.

١٨. سيبويه، عمرو بن عثمان بن قنبر، (د.ت)، الكتاب، تحقيق عبد السلام محمد هارون، (د.ط)، بيروت، دار الجيل.

١٩. الصايغ، محمد بن الحسن، (١٤٢٤هـ/ ٢٠٠٤م)، اللمحة في شرح الملحة، دراسة وتحقيق: إبراهيم بن سالم الصاعدي، (الطبعة الأولى)، المملكة العربية السعودية، عمادة البحث العلمي بالجامعة الإسلامية، المدينة المنورة.

٢٠. عبد الجليل، عبد الرحيم، (١٤٠١هـ/ ١٩٨١م)، لغة القرآن الكريم، (الطبعة الأولى)، مكتبة الرسالة الحديثة.